

مراكز إنتاج المنسوجات والملابس وصناعاتها في المؤلفات الجغرافية

تأليف

م. د. دنيا عبد علي الشمري

أ.م.د. عادل إسماعيل خليل

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الهادي الأمين ، سيدنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر المحجلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

تعد الملابس من المستلزمات الضرورية للإنسان منذ بداياته الأولى على سطح المعمورة ، فقد وهبها الله عز وجل لتكون زينة له وسترًا وجمالاً لذا استعان أولاً بالنباتات ليستر عورته بها ثم شعر مع مرور الوقت بالحاجة إلى كساء يقيه برد الشتاء ويحميه من حرارة الشمس والأمطار ، وبمرور الزمن عرف مثلاً أن جعل حزمة من الحشائش والقصب متقاطع بعضها مع البعض ييسر له إنتاج أشياء مفيدة كالسلال و الحصران ، وعرف غيره من أولي الذكاء والفطنة إنه إذا ما لوى الحزم وثناها وجمع بعضها إلى بعض فسيكون نتاجه أشد صلابة وأكثر مقاومة وهذا ما نسميه اليوم النسيج وكانت البيئة كريمة مع الإنسان إذ وفرت له مواد أولية تدخل في صناعة النسيج أو صنع الملابس مثل القطن والحريير والصوف والكتان ، فقد ذكر أن حواء أمرت بالنسيج والمغزل ، فغزلت القطن والكتان والوبر ونسجت وألبست أولادها ، وقد لبس آدم (8) من غزل حواء⁽¹⁾، وأشارت المصادر إلى أن أول من مارس مهنة الحياكة⁽²⁾، هو النبي إدريس (8)⁽³⁾، مما أضفى على هذه المهنة المزيد من الاحترام والتقدير فمارسها الناس وتفاخروا بها وتوارثوها جيل بعد جيل⁽⁴⁾.

¹ - المسعودي ، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، تصحيح وإشراف لجنة من الأساتذة ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، 1966م ، ص 78.

² - الحياكة: وتعني النسيج أي ضم الشيء إلى الشيء ؛ ينظر: فتح الله ، أحمد ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ط 1 ، مطابع المدوخل - السعودية ، 1995م ، ص 425.

³ - ابن قتيبة ، المعارف ، تح ، ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، ت) ، ص 553 ؛ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح ، عامر النجار ، ط 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1996م ، 188/1 ؛ ابن خلدون ، التاريخ ، ط 1 ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1966م ، 411/4 ؛ الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، المسمى اختصاراً بتفسير الثعالبي ، تح ، علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، ط 1 ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، 1997م ، 219/6 ؛ المجلسي ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، تح ، العابدني الزنجاني وعبد الرحيم الرباني الشيرازي ، ط 2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1983م ، 270/11.

⁴ - المرادودي ، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجل أحمد بن حنبل ، تح ، محمد حامد الفقي ، ط 1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1957م ، 412/10 ؛ أبو البركات ، أحمد ، الشرح الكبير ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، (د ، ت) ، 167/4 ؛ النوري ، ميرزا حسين ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، تح ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط 2 ، بيروت ، 1988م ، 99/13.

تعتبر صناعة النسيج من أهم الصناعات التي عرفها الإنسان - وإن لم تكن أقدمها - ولربما كان المصريون أول من عرف صناعة المنسوجات الكتانية ولا تزال بقايا هذه الصناعة دليلاً على ما وصلت إليه صناعة النسيج في مصر القديمة من دقة وتقدم، وانتشرت صناعة النسيج من مصر القديمة إلى مراكز الحضارات القديمة في حوض البحر المتوسط ⁽⁵⁾، وتمثل صناعة المنسوجات الكتانية أقدم أنواع المنسوجات التي استعملها الإنسان إذ استخدم المصريون القدماء المنسوجات الكتانية قبل حوالي 4000 سنة وعرف الرومان الكتان من اليونان، كما كان الكتان منذ زمن قديم معروفاً في أوروبا الوسطى والغربية ⁽⁶⁾، ونظراً لأهمية صناعة المنسوجات والألبسة عند الناس منذ زمن بعيد وإلى وقتنا الحاضر، وما تشكله من تأثير في النفس البشرية بوصفها من الأشياء الكمالية والجمالية التي يسعى كل فرد إلى تحصيلها، وما تحتله من مراكز متقدمة في صادرات الدول المتحضرة اليوم، فضلاً عن أن الكثير من الدراسات السابقة اهتمت بالملابس العربية والإسلامية كأزياء ومنتجات ولم تتعرض للمراكز التي صنعتها وأنتجتها جاءت مناسبة كتابة هذا البحث للتعرف على أبرز المناطق والأماكن التي اشتهرت بصناعة تلك الألبسة والتي اهتم الجغرافيون العرب في ذكرها والإشارة إليها لما ساهمت فيه من تقدم ورقي للبلاد الإسلامية صناعياً وتجارياً من جهة عله تتم الإحاطة بها إذ كانت سوقاً رائجة لتلك البضائع من الملابس والمنسوجات بكافة أنواعها مما جعلها محط أنظار هؤلاء الرحالة والبلدانيين في تلك الفترة من جهة أخرى.

5 - شريف، إبراهيم ، جغرافية الصناعة ، دار الكتب - بغداد 1982م. ص350.

6 - شريف، إبراهيم ، المصدر نفسه ، ص364.